خلاصة الشعر خلاصة الشعر

Sabah_ alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

ألا أيها الركبُ المخبّون ويحكم
بحقّ نعيتم عروة بن حزام
فلا تهنأ الفتيان بعدك لذّة
ولا رجعوا من غيبةٍ بسلامِ
وقل للحبالى ألا ترجّينَ غائبا
ولا فرحات بعده بغلامِ

هذه الأبيات قالتها عفراء بنت عقال صاحبة الشاعر عروة بن حزام.

لم يعرف عنها انها شاعرة، لكن الأحداث والمصائب تثير الحواس فتنطلق الروح على سجيتها فيصدر عنها في بعض الاحيان شعر هو تنفيس وتعبير عما يجول في الصدر.

وهذه الأبيات هي انعكاس لما تعرضت له عفراء من خبر موت حبيبها وابن عمها عروة بن حزام فجازته عن حبه وموته بسببها خير الجزاء.

وهذه أبيات رثاء صدرت عنها بعد ان وصلها خبر وفاة صاحبها.

تقول الرواية انه لما بلغ عفراء خبر موته قامت الى زوجها فقالت له: يا هناه، قد كان من خبر ابن عمي ما بلغك، ووالله ما عرفت منه إلا الحسن الجميل، وقد مات فيَّ وبسببي، ولا بد لي من ان أندبه وأقيم مأتما عليه.

قال: افعلي، فما زالت تندبه ثلاثا حتى توفيت في اليوم الرابع وبلغ معاوية بن أبي سفيان خبرهما فقال:

لو علمت بحال هذين الحرّين الكريمين لجمعت بينهما.

هذا النوع من الحب عرف في العصر الأموي وشاع في بني عذره فسمي بالحب العذري لذلك، وعرف من الذين ابتلوا بمثل هذا الحب قيس بن الملوح وجميل بثينه وكثير عزّة وغيرهم.

في هذه الأبيات تخاطب عفراء القوم السائرين المسرعين الذين نقلوا لها خبر وفاة صاحبها عروة وتحاول ان تنكر عليهم ما نقلوه من خبر وتطلب منهم ان يصدقوها القول فهي مبهوتة مشدوهة مرعوبة من هول ما جاءها من خبر وعندما تتيقن بأن ما جاءها صحيح ومؤكد وانها قد فقدت ابن عمها وحبيبها الذي ما مسّها بحرام ولا أشار اليها في قصائده بما يثير الغرائز والأحاسيس الجسدية انما وقف فيها شعره على ما يتعلق بعالم الروح وهذا ما يشترك فيه كل الشعراء العذريين.

في البيت الثاني يشتد حزنها عليه فتطلب بدعاء ان لا يهنأ الشباب والفتيان بعده بلذة ولا عادوا من غيبتهم بسلام..

وأظن ان هذا دعاء مكلوم وهو غير مستجاب فلو كانت في غير هذه الحالة لما جاءت بمثل هذا الكلام فما ذنب الشباب الفتيان ان لا يعودوا الى أهلهم بسلام وان لا يشعروا بلذة!، وهل تود الشاعرة ان تتوقف الحياة بعد صاحبها؟، وهذا ما تؤكده في بيتها الثالث حينما تدعو على الحبالى بعدم الإنجاب وان لا يفرحن بعده بإنجاب أي غلام وكأنما الحياة ستتوقف عند هذا الحد وان الارحام لن تنجب غيره لكن الحياة استمرت والشباب التذوا وعاد الغائبون بسلام والحبالى أنجبن من البنين والبنات ما أوقف وبدد جميع تلك الدعوات.

وهذه الأبيات تذكرنا ببيت أبي فراس الحمداني في قصيدته المغناة الجميلة "أراك عصي الدمع" حينما يقول:

إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

أنها دعوات قاسية تصدر عن حالة شديدة القسوة فيمر الشاعر فيها بحالة من اليأس والاحباط والسوداوية ولا أظنه يقصدها ولا أظنه يقولها ويكتبها لو كان في غير هذه الحالة.

خارج السرب
كنية كلكامش شتاء ماكر وعليل

شاكر سيفو

هكذا، ومنذ أربعين والرعب يسدل ستار الدخول الى السعادة،والألم أبهته، تنهمر المواعيد فوق كتفي وتضج من حوله النسوة الأرامل والأهرامات والهواء العالي والرغيد ما زال راقدا في أجنحة الفردوس ومخدته تشخر ذكرياته وهو يخفي نعاسه في ورقة التوت، أو في قرقعة قربولته وتضج من حوله الكؤوس الفضية، هذا المشطور في نافذة "الشين" شمشومشمائيل، أخوتك الذين نسوا مناديلهم في باب الفردوس، نخترع لهم مناديل الشمس كي نطرد الظلام من ضماداتنا، الرعود تسأل عن بروقنا وسماواتنا، والهتاف ذاك الذي تسعده الأيام الخضر في عيد ميلاد الربيع، والذي تسعده الزرقة في عيد ميلاد السماء، نرصع في الخريف أعناق الحنطة ونريق الدقيق على فهم العائلة، نحن موعودون دائما بمقامات التلف، والطيور تبحث في تلفنا عن رذاذها الشتائي، موعودون بالنور في القيته، نشطف خريفه من روزنامة الألم، ونخترع للجهات كلها باروكات ومسلات وابجديات تتناسل من مطبخ الالهه، وتسعد الطفولات في بخارها، وتتقدم العصور من دخان قاطرة الألم، الجنيات هنا يفخخن الأسرة والتيجان الشوكية والشوكولاتا، ونحن جحيمنا القربولات والعث والدعك والمضمضات، لابد أن نشطف أسماءنا من حروف العلة، منذ أربعين وكلكامش يبحث عن جدول العقوبات في الأستعداد الصباحي، وجدول الضرب في ياقة المعلم "يعقوب" وكلكامش يرسب في الرياضيات، ويفوز بحساب أيام السرة والعشبة وسعادتها ومخلوقاتها وشتائم الصغار.. ايها الأمير الذي أخضرت عيناه في تراب أوروك، وأقصد هو هو الذي رحل دون خاتمة ومع عينه اليمنى، هذا سهو ماكر وكثير، شتاؤه وحل وحلي، امرأة نسيت جسدها في الطمث حينها زعلت أورورو على الفرات ودموع الارملات.

أيها البصر أسرج لك الكلمات والمدن العالية في عين الملكة، عينها الزرقاء أفقه وعيني شيخوخة هذا الضوء الناحل في فانوسها التحفة التعبان.. موعودون بحنين النيونات والنهر والتاريخ والنسرين والندى والنواعير والنوستالجيا النينوية، مدونتي تضخ أنهارها بأرق المولدات وشهقاتها، تجمع حزن حافظة الزروع لشتاء ماكر وعليل يرقد على شواهد أضرحة جديدة، ايها الكلام أشم عطاردك وأقصد خرير دم الكوكب السماوي، وتطفر عينا الزهرة وتسقط فوق بوابة برج الامومة، سعيدة أيتها الكواكب من رائحة الله، عيدة بالعصا الاخيرة من حارس بوابة الشمس في باب الشمش وباب نركال، لهم الخس والطحال وماراثون الباقلاء ولي-دائما- حليب السباع من اجل ماراثون العدم...

موعود بالعشبة تنسل من نداها حروف اسمك. وتخرج عائلات الصيد من جدول الضبط لكنية كلكامش تصطاد الشتاء تهرق الرعود في دنان عتيقة، تخمر فيها الزبيب وتكشط الوغف من حلمات اثدائهن في ربيع حليبهن...

اليك تأتي النوارس بالوعود، بالنجمة والعكاز والخاتم كي لا تنبت حدبة أرارات في كتفي وتعمي حدقاته الايام، أشير الى عماء لسعادة الخرافة.

ياه، كم اردت أن تكون الحفلة دون بصل أخضر وبلا ياقات بيضاء انني ارى الارض بحدبات عالية، لقد احدودب الافق واصبح حي النور حي الظلام، هناك يجمعون مدخرات الطبخ والمغادرة لأصدقاء في الوزارات يهشون بعصا السماء أقمارهم ويكشطون عن ظهر الارض حدبتها ويدخلون الفردوس...

شعراء العراق ينشدون لنصفهم الحلو

ميدل ايست اونلاين

لمناسبة يوم المرأة العالمي الذي صادف في الثامن من هذا الشهر، احتضن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق احتفالية ثقافية متعددة الفعاليات أقامها على قاعته الرئيسة، منتدى نازك الملائكة بالتعاون مع نادي الشعراء، قدمت الاحتفالية الشاعرة منى سبع درباش بالاشتراك مع الشاعر مروان عادل حمزة، وافتتحها الشاعر الفريد سمعان الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

استعرض سمعان في كلمته المسلسل الطويل لمعاناة المرأة وتعرضها المستمر لغمط الحقوق، دونما أن يكون لمجتمعات جهة من جهات الأرض الأربع، أفضلية في منحها ما لها من حقوق، إذ "أنها لم تنل كل حقوقها في كل إنحاء العالم، حتى المتقدم منه" كما ورد في استعراض سمعان، الذي رأى أن "السعودية التي تحاول دائما الحصول على أرقى أنواع التقنية لتسخيرها في خدمة المجتمع، لا تسمح لنسائها بسياقة السيارات وتمنعهن من الجلوس في المطاعم التي يدخلها الزوج ليستمتع بالأكل فيها، في حين تنتظره زوجته خارج المطعم"، لتلك الأسباب وغيرها، فإن الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب في العراق حرَّضَ النساء لأن "يقاتلن من أجل نيل كافة حقوقهن".

ارتقت المنصة بعد ذلك إيناس البدران رئيسة منتدى نازك الملائكة فاستعرضت المسيرة النضالية للمرأة في عموم العالم، من أجل نيل حقوقها. وإنها على الرغم من كل ذلك النضال العالمي المحتدم فإنها لم تحصل إلا على جزء من تلك الحقوق.. فهي وخصوصا في الشرق ظلت محكومة بعادات اجتماعية متخلفة.

وطالبت البدران بقرع ناقوس الخطر إنقاذا للمرأة العراقية التي يجب أن يُسرَّع تشريع القوانين التي تضمن لها حقوقها المشروعة، وأن تشرك المرأة العراقية في كافة أنواع العمل للاستفادة من قدرات نصف المجتمع، إضافة إلى ما في ذلك الإشراك من رفع لمستواها المعيشي...

وفي ختام كلمتها أعربت رئيسة منتدى نازك الملائكة عن أملها في أن يكون عام ٢٠٠٨ هو عام المرأة العراقية بما يؤمن الارتقاء بمكانتها.

بيّنَ مقدم الاحتفالية الشاعر مروان عادل حمزة أن الفضائيات تحاول إظهار المرأة العراقية بطريقة مأساوية، فهي ليست سوى "لَطَّامَة" تظهر في تلك الفضائيات بشكل مؤثر عقب الانفجارات التي تحصد أروح الأبرياء.

جرى بعد ذلك تقديم الشعراء والشاعرات ممن هيؤوا نصوصا إبداعيا لهذه المناسبة، وكانت أول من أنشد، الشاعرة منى الخرسان، التي ترنمت بقصيدة عنوانها "اشتياقات إمرأة"، تلاها الشاعر محمود النمر بقصيدة عنوانها "العربات تنوء كثيرا بالكلمات".

أما الشاعرة نجاة عبد الله فكان نصها الشعري بعنوان "قصائد مهجرة"، بينما ألقت الشاعرة والفنانة ضحى محمد قصيدتها التي كتبتها في عمان بعنوان "إمرأة تتمنى أمنية العيد".

قدم القاص محمد سعدون السباهي ورقة بالمناسبة عنوانها "المرأة الكاتبة كائن إستثنائي" عرج خلالها على طبيعة التعامل مع المرأة في مجتمعنا محاولا بلوغ الفسحة التي شغلتها أعلام نسوية عراقية متألقة رفدت الأدب بكثير من الإبداع متطرقا إلى أسماء الشواعر منهن والقاصات والروائيات.. وخلص في ورقته إلى أنه ومع كل تلك المكانة المتميزة التي تبوأتها في عالم الأدب، إلا أن ما سبق وإن عوملن به من أساليب سلبية إنعكس على أدب البعض منهن كون ذلك التراكم لا يمكن إزاحته في بضع سنين، ومع كل ذلك التأثير فإن النتاج الأدبي لبعضهن تجاوز ما هو عليه الأدب الرجالي من إبداع.

استثار مقدم الاحتفالية مروان عادل حمزة الشاعر خالد البابلي عندما تركه ينتظر الإشارة لينشد، ولكن مروان أعلن عن فعالية معينة ستقام لاحقا، ما دفع الشاعر البابلي لأن يغادر المنصة محتجا على تجاهله. تقدم بعد ذلك الشاعر جبار سهم السوداني فألقى قصيدة قال أنه نظمها في القاهرة لعيني الفنانة سهير المرشدي. وبناء على إلحاح الحضور، فقد عاد الشاعر خالد البابلي ليعتلي المنصة فألقى مقطعا قصيرا من قصيدة بالمناسبة.

"تحرير المرأة قضية سياسية" وفق ما رأت إبتسام عبد المحسن، التي تنظر إليه كونه موضوعا يخص المجتمع بكامله ويؤثر عليه، ملمّحة إلى الفروقات الفكرية والثقافية بين الجنسين، ما يستوجب على المرأة بنظر الباحثة "أن تعي موقعها في المرحلة التي يراد فيها الارتقاء بالمجتمع العراقي، فذلك هو الذي يؤدي إلى نهوض واسع للمجتمع".

روى بعد ذلك، شاكر المياحي حكاية قصيرة ومؤثرة بطلتها إمرأة عراقية داهمت دارها قوة عسكرية للقبض على سياسيين من رجال اسرتها، وعندما فشل قائد القوة في تحصيل أي منهم فانه طلب من تلك المرأة أن ترافقهم، فاستأذنته في أن تتهيأ للخروج وترتدي ما يجب عليها ارتداؤه في الخروج، وما أن دخلت الغرفة حتى سكبت النفط على جسدها وأشعلت فيه النار. قال المياحي راوي الحكاية أن الواقعة المذكورة وقعت في الشاكرية التي كانت ضاحية من ضواحي بغداد "وهي الآن ضمن المنطقة الخضراء"، أيد عدد من الحضور تلك الواقعة ومنهم القاص حميد المختار رئيس تحرير مجلة الشبكة العراقية.

لم يتغيب الشعر العامي "الشعبي" عن الاحتفاء بالمرأة في هذه الاحتفالية، فكان ذلك حاضرا ممثلا بالقصيدة القصيرة والمعبرة التي صدح بها الشاعر حسين جبر، فيما أهدى الدكتور ملك محمد قصيدته "مواسم الذهول" إلى المرأة التي فاقته صبرا.

أثر الشعر والمديح والتغني بالمرأة كثيرا على ما يبدو، على مشاعر الشاعرة منى سبع درباش مقدمة الاحتفالية، فتقدمت بإقتراح غريب جدا، وهو أن يتاح للمرأة يوم واحد في السنة تختار فيه شريك حياتها وتتقدم لخطبته كما يفعل هو منذ آلاف السنين.

توالى الشعراء على اعتلاء منصة الإنشاد، فشارك في الاحتفالية الشعراء زاهر موسى ومنصور الغثيان وأحمد الثائر بنصوص قصيرة..ارتقى بعدها الحقوقي طارق حرب المنصة ليقدم مداخلة ابتدأها بحوار جرى قبل خمسين سنة بين المطرب الريفي العراقي الراحل داخل حسن وأحدهم الذي استهجن أن يكسر "أبو كاظم" السياقات الشعرية ويضع مطلعا لأغانيه يكرر فيه لازمة "يمه يا يمه" بدلا من اللازمات المعروفة "يا ليل ويا عين" وغيرهما، فكان رد المرحوم داخل حسن انه ابن مدينة الناصرية التي تفخر بأنها أنجبت واحدة من أولى وأهم الملكات عبر التاريخ، أنها الملكة السومرية شبعاد، ثم تناول الحقوقي حرب بطريقة انتقائية نسوة ورد ذكرهن في القرآن الكريم من أمثال أم موسى وأخته، ومريم بنت عمران وأمها وامرأة فرعون وسواهن، متجاهلا إمرأتي نوح ولوط وزليخة يوسف وصويحباتها وسواهن ممن ورد ذكرهن في القرآن على غير الشكل الذي انتقاه حرب.

رافق الاحتفال افتتاح معرض فني ضم قرابة أربعين لوحة لعدد من الفنانات التشكيليات تعبر عن واقع وهموم وقضايا المرأة، إضافة إلى عدد كبير من التحف السيراميكية.

كانت المشرفة على ترتيب المعرض وإكمال مستلزماته، الفنانة الشاعرة ضحى محمد منهمكة في الترتيب والتنسيق والتوجيه، وعندما توجهنا إليها بسؤال عن طبيعة انشغالاتها الفنية عدا عما نراه من لوحات تنطق بالمناسبة الأنثوية العالمية قالت "أعمالي تعبير عن الوضع المؤلم الذي يعيشه العراق، ولقد صببت اهتمامي في أغلب لوحاتي على قضايا المرأة والطفولة، فالفن الذي يتناول الطفولة، إنما هو تربية وتنشئة تلغي دور تجار اللعب الحربية التي تنمي غريزة القتل والعدوان لدى الأطفال."

اختتم الحفل بتوزيع عدد كبير من الجوائز على أصناف من المبدعات، شاعرات وقاصات وروائيات وفنانات، إضافة إلى زوجات الشعراء الحاضرين الذين أنشدوا للنصف الحلو.

رحلة الشاعر أحمد الصافي النجفي (الجزء الأول)

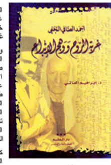

عدنان حسين أحمد- لندن

صدرَ عن دار العلم للطباعة والنشر في بيروت كتاب نقدي جديد يحمل عنوان "احمد الصافي النجفي: غربة الروح ووهج الإبداع" للشاعر والباحث العراقي الدكتور إبراهيم العاتي.

وقد تضمن الكتاب مقدمة مركزة، وسبعة فصول، ومختارات شعرية مُستلّة من سبعة دواوين شعرية، إضافة إلى قصائد أُخَرَ انتقاها الباحث من المجموعة الكاملة للأشعار غير المنشورة، الأمر الذي يتيح للقرّاء والمعجبين بشعر الصافي النجفي أن يطلعوا على عدد غير قليل من القصائد الوجدانية والروحية والفكرية التي لا تخلو من مقاربات فلسفية عميقة. تتوفر المقدمة، على الرغم من قصرها، على عدد من الآراء النقدية المهمة التي تنتصف لتجربة النجفي الإبداعية والحياتية بعيداً عن السقوط في فخ الإخوانيات والمجاملات العابرة.

ومن بين أبرز الآراء المبثوثة في متن هذه المقدمة القيّمة هي نأيُ الصافي النجفي عن التقليد الذي كان مهيمناً في النصف الأول من القرن العشرين. فليس غريباً أن يجترح الصافي لنفسه أسلوبا خاصا به، ينتمي إليه، ولا يُحيل إلى غيره من الشعراء.

وقد أشار العاتي إلى أن هذا الأسلوب، أو الطريق الجديد والغريب والمغاير قد صدم النقاد ومتذوقي الشعر في بادئ الأمر غير أن هذه الصدمة أخذت تتبدد عندما وجدت قصائد الصافي النجفي طريقها إلى الصحف والمجلات الثقافية المتخصصة، حيث تكشف مشروعه الشعري عن مزايا فنية وجمالية سوف تترك تأثيرها على قرّائه ومحبّيه في العراق والشام وبقية بلدان العالم العربي.

كما أشار العاتي إلى أهمية المضامين الفلسفية والوجودية التي تنطوي عليها تجربة الصافي الشعرية الأمر الذي حقق له شهرة عربية واسعة فاقت أقرانه ومجايليه. وعلى الرغم من مكانته الشعرية الكبيرة إلا أنه لم يأخذ حقه من النقد والدراسة والتحليل، خصوصاً أن النقاد والباحثين العرب قد وجدوا أنفسهم أمام أشكال شعرية حديثة كالشعر الحر، والشعر المُرسل، وقصيدة النثر وما إلى ذلك من أشكال شعرية جديدة سرقت الأضواء من جيل الروّاد الذين أسهموا بقدر أو بآخر في التأسيس لمرحلة التجديد والحداثة الشعرية والنثرية. اعتمد العاتي في كتابه النقدي على عدد غير قليل من المصادر والأبحاث النقدية التي تناولت تجربة الصافي الشعرية، غير أن المصدر الأكثر أهمية هو معرفته الشخصية بالصافي النجفي، ولقاءاته المتكررة معه في أثناء دراسته الجامعية، حيث كان العاتي طالباً في قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في كلية الآداب في دمشق. وقد خلص الباحث إلى نتيجة مهمة مفادها أن شعر الصافي شديد الالتصاق بتفاصيل حياته، فشعره حياته، وحياته شعره، عكس كثير من الشعراء الذين تبدو حياتهم في واد، وشعرهم في وادٍ آخر!.

نقوش على الذاكرة

استهلَّ العاتي الفصل الأول من الكتاب استهلالا سرديا يصلح أن يكون مقدمة سلسة لقصة قصيرة أو نص روائي. ويبدو أن ذلك الخريف الدمشقي الساحر لا يزال منقوشا على شاشة الذاكرة المتشبثة بتفاصيل عزيزة على الروح والقلب. فالعاتي كان توّاقا منذ صغره لمعرفة الأوساط الأدبية. وما هذا بمستغرب عليه، فهو شاعر وباحث وطالب فلسفة. ولا بد أنه يجد نفسه وسط النخب الثقافية العراقية والعربية.

ومن حُسن المصادفة أن يكون العاتي متحدراً من النجف الأشرف، وهي ذات المدينة التي ينتمي إليها شاعرنا الكبير أحمد الصافي النجفي، الأمر الذي ذلل من صعوبة اللقاء الأول، وسرّع في عملية التعارف التي ذهبت إلى أقصى مداها في التآلف والحميمية. فالأرواح المتآلفة تتجاذب. وأكثر من ذلك فإن المناطق المشتركة بين العاتي والنجفي كثيرة، فكلاهما شاعر، وكلاهما معني بالفلسفة، إضافة إلى تحدّرهما من بيئة ثقافية واجتماعية وفكرية واحدة. في مقهى الهافانا الدمشقي كان اللقاء الحميمي الأول الذي انطلق من خلف صحيفة يومية. فالمقهى، على ما يبدو، هو بيتهُ ومكتبتهُ وصالة استقبال ضيوفه ومُحبيه. أما غرفته الصغيرة البائسة في سوق الحميدية فهي لا تليق بقامة شاعر كبير مثل الصافي النجفي، ولكنه آثر الفقر، كما قال العاتي في إهدائه، ليصون كرامة الشعر.

ولا بد من الإشارة إلى أن النجفي قد تغرّب قبل ذلك بعقد أو يزيد من السنوات. فخلال الحرب العالمية الأولى وما تلاها من أحداث جسام أفضت إلى قيام ثورة العشرين، وحصار النجف استطاع الصافي النجفي الهرب إلى إيران، مغتربه الأول، حيث أمضى ثماني سنوات بعيداً عن الأهل والخلان، لكنه أفاد كثيراً من هذه الغربة حيث أتقن اللغة الفارسية، وترجم بواسطتها رباعيات الخيام ترجمة شعرية دقيقة ظلت علامة فارقة حتى يومنا هذا على الرغم من تعدد الترجمات لهذا الأثر الأدبي الخالد.

أما غربته الثانية فقد بدأت عام ١٩٣٠، ولم تنته إلا عام ١٩٧٧، أي بعد اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية بسنتين. وما إن عاد حتى وافاه الأجل المحتوم بعد بضعة أشهر ليطوي حياة شاعر جُبل على الفقر والتشرد وعدم الاستقرار. يؤكد العاتي بأن الصافي قد عاش مختلف أشكال الغربة الروحية والجسدية والمكانية.

أما كفَت غربة الروح أجرعها
حتى تُضاف إليها غربةُ الوطنِ

غير أن الغربة الفكرية أقسى أشكال الغربة على الصافي النجفي حيث قال:

فأبصرتُ طعم الكل مراً وقاسياً
ولم أرَ أقسى قط من غربة الفكرِ

وعلى الرغم من أن غربة الصافي النجفي الثانية كانت اختيارية ولم تكن قسرية، إلا أنها كانت مليئة بالمصاعب. ولعل أشقها على النفس حينما أصبح نزيلا لمستشفى الغرباء حيث الداخل فيه مفقود، والخارج مولود!.

كان الصافي عزيز النفس أبيّها. فلم يتكسب، ولم يمدح سلطانا أو يمجد حزبا سياسياً، بل بالعكس كان يغلف قصائده بأثواب السخرية المرة:

صافحتني يد امرئٍ فرآني
ساخن الكف من لظى الوسواس
قال هذه حرارة الإيمان
قلتُ: لا، بل حرارة الإفلاس!

يزخر الفصل الأول بمعلومات كثيرة عن طبائع الصافي النجفي، وعاداته اليومية، وطقوسه في كتابة الشعر. وليس غريباً أن يأتي الصافي إلى مقهى الهافانا مبكرا حيث يتناول فطوره البسيط، ثم يشرع في قراءة عدد من الصحف السورية واللبنانية، ثم يستعمل حواشيها كمسودات لقصائده التي يكتبها في هذا المقهى أو ذاك.

وحينما يتعذر وجود الصحيفة كان يدوّن قصائده على علب السجائر الفارغة، أو على أية ورقة ملقاة على أرضية المقهى. وكان الصافي يتضايق من شيئين أساسيين وهما دخان السجائر ولعب الطاولة فالأول يفاقم حالته الصحية السيئة، والثاني يؤرقه ويسبب له الإزعاج. كان الصافي النجفي من أنصار حركة المشروطة المناوئة للاستعمار البريطاني. كما كان معارضاً قوياً للتيار الديني المحافظ. فهو صاحب رسالة أخلاقية وإصلاحية في الوقت ذاته.

توصل الباحث في هذا الفصل إلى أن الصافي كان متمرداً على نفسه وعلى التقاليد الاجتماعية البالية. وكان يقف بكل قوة إزاء البدع الوافدة من بلدان أخرَ. ولعل حادثة التصفيق التي نقلها الصافي إلى النجف هي خير مثال لما نذهب إليه. فحينما قرأ الشاعر المرحوم صالح الجعفري قصيدة له يقول فيها فحيوا بالسلام مصفقينا بادر الصافي إلى التصفيق وسط دهشة الحاضرين الذين أعربوا عن سخطهم وتذمرهم لهذا التجاوز الذي وبخه عليه أخوه الأكبر توبيخا شديدا.

السهل الممتنع

تتصف قصائد الصافي النجفي بالبساطة والعمق، فليس فيها فذلكات لغوية أو مفردات عويصة تستعصي على الفهم. وقد رصد العاتي في الفصل الثاني من هذا الكتاب العالم الفني للصافي النجفي. وتوصل الباحث إلى أن هذا العالم الفني الذي خلقه الشاعر خلال رحلته الإبداعية الطويلة إنما هو عالم قائم على البساطة في طرح الأفكار والمضامين الشعرية، غير أن مقترباته ومعالجاته الفنية للموضوعات هي التي تمنح قصائده دفقاً وحيوية عاليتين. فالصافي النجفي، كما يؤكد أغلب النقاد، هو شاعر معان لا مبان. فالشكل ليس مهما بالنسبة إليه، لكنه يولي المعنى اهتماما كبيرا. أما بساطة الألفاظ والمفردات الشعرية التي يستعملها فهي مقرونة بالعمق الشديد، والمفارقة الذكية، والسخرية المرة في كثير من الأحيان، تلك السخرية التي تذكرنا بالكوميديا السوداء.

وبحسب الناقد اللبناني رئيف خوري فإن هذا الأسلوب هو السهل الممتنع بحد ذاته. فثمة روح شعري لا يستطع خلقه إلا شاعر مبدع، وفيٌ لمشروعه الشعري.

إن ما يلفت الانتباه في قصائد الصافي النجفي هي كثرة الألفاظ والكلمات المتداولة في لغة الحياة اليومية، إضافة إلى جرأته الواضحة في استعمال بعض المفردات العامية التي طوّعها الشاعر، وأدخلها في نسيج نصه الشعري حتى باتت من لحمة النص وسُداته.

ويرى العاتي أن الصافي النجفي لم يكن يؤمن بوجود مفردة شعرية وأخرى غير شعرية وإنما كان مؤمنا بوجود معالجة شعرية وأخرى غير شعرية.

إن منْ يطيل النظر في البيتين الآتيين سيكتشف أن الألفاظ الغريبة والحوشية قد تطوّعت تماماً حتى باتت جزءا من السياق العام للنص الشعري.

إن الغريّ بلدة تليق أن
تقطنها الشيوخ والعجائز
فصادرات بلدتي مشائخ
وواردات بلدتي جنائز

إن مفردتي الصادرات و الواردات التجاريتين منسجمتان تماما مع السياق العام للنص الشعري، ولا تربكان إيقاع السامع البتة.

* موقع باب.

خاطرة
مع قلوب متوحدة.. علم واحد

كَريزلدا/ بيرسفي

العلم رمز للأمة وبأي لون نستطيع أن نلونه وانما
تعالوا نعمل لتغير كل شيء رأسا على عقب
ونجعل موقفنا حدثا تاريخيا
ونرمي لثلاثة عقود من الذل في قاع البحار
ونرفع علمنا ليرفرف من الجنوب إلى الشمال
ونحفر ثقبا داخل أوردتنا لساريته
ونرفعه ليعلو بضربات قلوبنا
مع الروح ويهتف باسم العراق
لنفتح أبوابا جديدة لآمالنا لنتمكن من الاستمرارية
ونشتري لحياتنا ثوبا مزينا بالكرامة
لنحس بوجود كياننا يعود لنا
لنتقابل كرامتنا مع مشاعرنا
وبداخل كل واحد منا قهر أكثر حدا من جنون عشقنا لحبيبتنا
عناد أقوى من حبنا
ونصرخ بصوت واحد لا نريد الذل و
نندم على يوم قد رضينا به
ونغرد لنعيش لوحدتنا
ونقوي أساسنا
ونحمي حضارتنا مضاعفين ثقافتنا
ونتحد بأهدافنا تحت سماء صافية
وشمس تدفئ حدودنا
لنتذكره مع متانة عيد الحب
وبشعار متين برفع العلم
لا للتجزئة.. لا للطائفية..لا للعنصرية